

6

أنتقال الإسلام

الغلام القائد أسامة بن زيد

يقدمه
أحمد الشافعي
أحمد الشافعي
أحمد الشافعي

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة

الطبع والنشر والتوزيع
٢٠١٩ - ٢٠٢٠ - ٢٠٢١
٢٠٢٢ - ٢٠٢٣ - ٢٠٢٤

أشبال الإسلام

6

«الطفولة» مرحلة مهمة للغاية ، وهي ليست مجرد مرحلة للهو واللعب وتضييع الوقت فيما لا يفيد ، ولكنها مرحلة إعداد جادة لما سيكون عليه الإنسان في شبابه وهي رجولته .
وفي هذه السلسلة تطالع :
صوراً مختلفة للنمو والتفوق والبطولة الخارقة والرجولة المبكرة عند «أبطال صغار» ، صنعوا المعجزات برغم حداثة أعمارهم ، فكان من بينهم : العالم ، والمحارب الشجاع ، وقائد الجيش .
إن «الطفل الصغير» يستطيع أن يعرف دوره في الحياة ، من خلال مطالعته لهذه النماذج المشرقة ، ويستطيع أن يقدم الكثير من الأعمال النافعة لنفسه ولأسرته ولوطنه .
وسوف يجد الطفل المتعة في أثناء قراءة هذه السلسلة التي كتبت بأسلوب قصصي مشوق ولغة أدبية شائعة .

وجيه يعقوب السيد

مدرس مساعد بكلية الآداب

جامعة عين شمس

السلام القائد

أسامة بن زيد

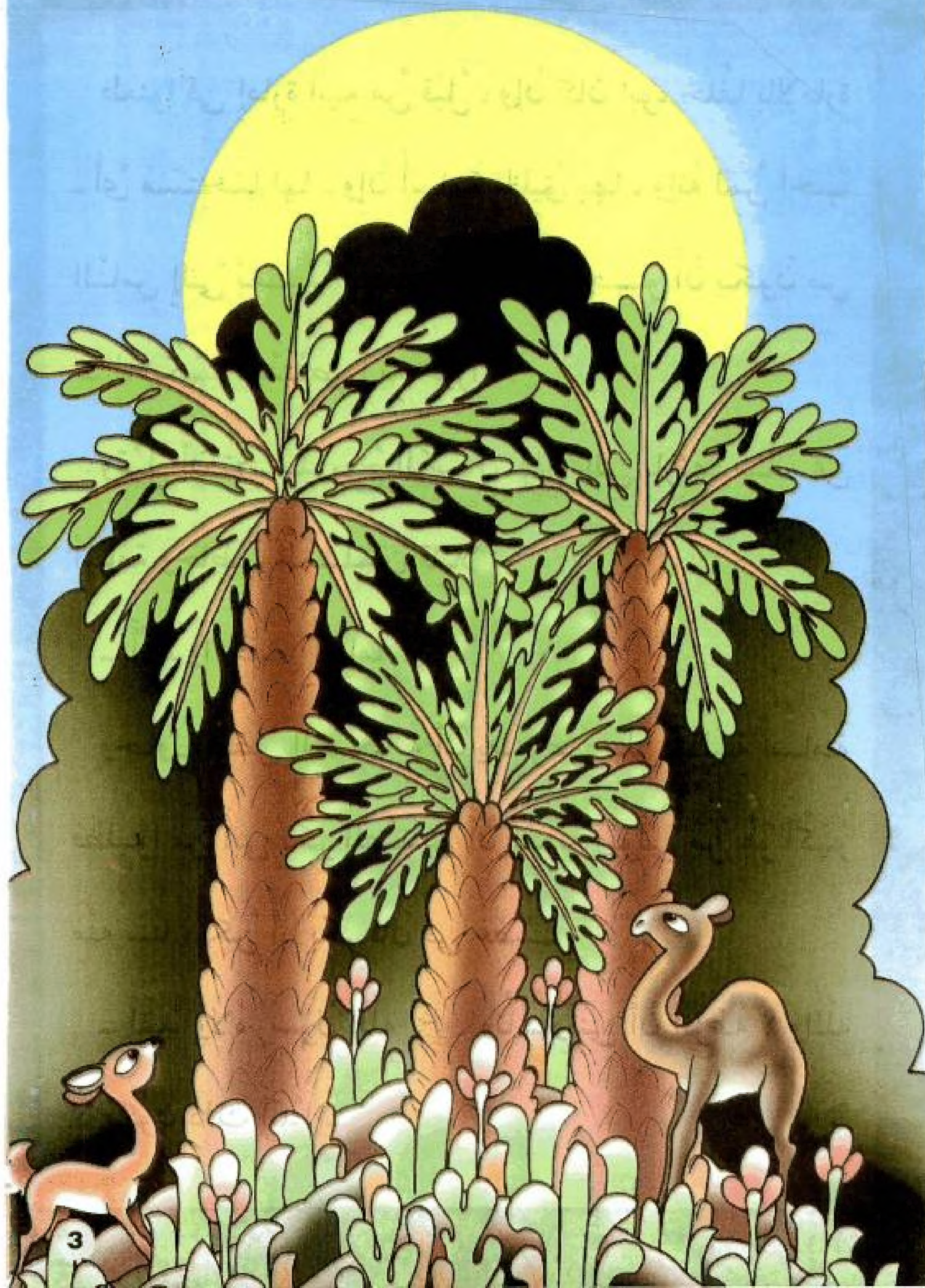
بقلم : أ. وحيه يعقوب السيد
بريشة : أ. عبد الشافي سيد
إشراف : أ. حمدي مصطفى

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٥٥ - ٧٨٣٥٥٤ - ٢٥٨٦٩٧
فاكس : ٢٢٧٧٠٠٢

عَلِمَ الرَّسُولُ ﷺ أَنَّ جُنُودَ الرُّومِ بَاتُوا يَهْدِدُونَ حُدُودَ
الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بَعْدَ أَنْ جَمَعُوا صُفُوفَهُمْ وَهَاجَمُوا
الْمُسْلِمِينَ مِنْ جِهَةِ الشَّامِ .
وَأَمَرَ الرَّسُولُ ﷺ بِتَجْهِيزِ جَيْشٍ كَبِيرٍ مِنْ أَجْلِ تَأْمِينِ
حُدُودِ الدَّوْلَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَرَدِّ عُدُوِّ الرُّومِ ، وَكَانَتْ مَفَاجَأَةً
عِنْدَمَا اخْتَارَ الرَّسُولُ ﷺ (أَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ) قَائِدًا عَامًّا لِهَذَا
الْجَيْشِ ، وَكَانَ عُمُرُهُ آنَ ذَاكَ أَقَلَّ مِنْ عِشْرِينَ سَنَةً . بَيْنَمَا
كَانَ كِبَارُ الصَّحَابَةِ وَشُيُوخُهُمْ تَحْتَ قِيَادَتِهِ .

رَضَخَ الْمُسْلِمُونَ لِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَإِنْ كَانَ الرَّسُولُ
ﷺ لَمَحَ فِي عُيُونِهِمُ الْعِتْرَاضَ وَأَحْسَّ بِمَا تُخْفِيهِ
صُدُورُهُمْ ، فَجَمَعَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ :

— إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَطْعَنُونَ فِي إِمَارَةِ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ، وَلَقَدْ



طَعَنُوا فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلُ ، وَإِنْ كَانَ أَبُوهُ خَلِفًا بِالْإِمَارَةِ
- أَيْ مُسْتَحَقًّا لَهَا - وَإِنْ أُسَامَةُ لَخَلِيقٌ بِهَا ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَحَبِّ
النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَ أَبِيهِ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ مِنْ
صَالِحِيكُمْ ، فَاسْتَوْصُوا بِهِ خَيْرًا .

وَقَبْلَ أَنْ تَصْعَدَ رُوحُ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى بَارِئِهَا سَأَلَ عَنْ
أُسَامَةَ وَخَاطَبَ الْمُسْلِمِينَ قَائِلًا :

- أَنْفِذُوا جَيْشَ أُسَامَةَ !

وَحَاوَلَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ أَنْ يَعْتَرِضَ عَلَى تَوَلِيَةِ أُسَامَةَ
فَطَلَبُوا مِنْ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِّيقِ أَنْ يَعْزِلَهُ وَيُوَلِّي مَنْ هُوَ أَكْبَرُ
مِنْهُ سِنًا ، لَكِنْ أَبَا بَكْرٍ قَالَ فِي غَضَبٍ :

- لَقَدْ وُلَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَأْمُرُونَنِي أَنْ أَنْزِعَهُ ؟ وَاللَّهِ

لَا يَكُونُ ذَلِكَ أَبَدًا .



وخرج الصحابة كلهم طائعين تحت إمرة الغلام الصغير
بعد أن زالت الشكوك من أنفسهم ، وأيقنوا أن الخير في
سماع نصيح رسول الله وامثال أوامره !

كان منظر الجيش مهيباً تحت قيادة هذا البطل الصغير ،
وخرج أبو بكر ماشياً على قدميه لكي يودع هذا البطل ،
وعندما رأى (أسامة) خليفة المسلمين يسير على قدميه
نزل عن جواده وقال في أدب :

— يا خليفة رسول الله ، إما أن تركب وإما أن أنزل !

لكن أبا بكر أشار عليه بالبقاء راكباً وقال :

— والله لا تنزل ، والله لا أركب ، وما على أن أغبر

قدمي في سبيل الله ساعة ؟

ومشى أبو بكر على قدميه بينما بقي (أسامة) راكباً

يَا أَيُّهَا الْمَلَأَئِكَةُ قَبِّلُوا لَهُ رُكُوعًا
وَسُجُودًا وَسَبِّحُوا لَهُ مَا سَبَّحُوا لِلَّهِ
يَوْمَ الْوَعْدِ إِنَّهٗ عَلِيمٌ خَبِيرٌ
يَا أَيُّهَا الْمَلَأَئِكَةُ قَبِّلُوا لَهُ رُكُوعًا
وَسُجُودًا وَسَبِّحُوا لَهُ مَا سَبَّحُوا لِلَّهِ
يَوْمَ الْوَعْدِ إِنَّهٗ عَلِيمٌ خَبِيرٌ



امْتِثَالاً لِأَمْرِ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ !

وَمَضَى الْجَيْشُ الْمَيْمُونُ إِلَى غَايَتِهِ عَلَى بَرَكََةِ اللَّهِ ، وَفِي
الطَّرِيقِ كَانَ الْحَوَارُّ لَا يَنْقَطِعُ بَيْنَ الصَّحَابَةِ مِنْ أَجْلِ مَعْرِفَةِ
الْمَزِيدِ عَنْ حَيَاةِ هَذَا الْبَطْلِ الصَّغِيرِ .
سَأَلَ أَحَدُهُمْ :

- أَحَقًّا كَانَ أَبُوهُ (زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ) عَرَبِيَّ النَّسَبِ ؟
فَأَجَابَهُ صَحَابِيُّ آخَرُ :

- نَعَمْ هُوَ عَرَبِيٌّ ، وَلَكِنْ بَعْضُ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ أَغَارَتْ عَلَى
أُسْرَتِهِ فَسَرَقُوهُ وَهُوَ غُلَامٌ صَغِيرٌ وَبَاعُوهُ فِي سُوقِ الْعَبِيدِ ،
وَكَانَ مِنْ حُسْنِ حَظِّهِ أَنَّ الَّذِي اشْتَرَاهُ هُوَ خَالُ السَّيِّدَةِ
خَدِيجَةَ فَأَهْدَاهُ لَهَا ، وَعِنْدَمَا تَزَوَّجَتِ السَّيِّدَةُ خَدِيجَةُ مِنْ
الرَّسُولِ ﷺ وَهَبَتْهُ (زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ) لِيَكُونَ فِي خِدْمَتِهِ !



ونشأ (زيد بن حارثة) في بيت الرسول ﷺ وتفانى في
 خدمته ، ومَرَّتِ الأيامُ وتَعَرَّفَهُ أبوه وأَعَمَّامُهُ وأَرَادُوا أَنْ
 يَأْخُذُوهُ لَكِنَّهُ رَفُضَ أَنْ يَعُودَ مَعَهُمْ ، وَأَثَرَ أَنْ يَبْقَى فِي
 خِدْمَةِ الرَّسُولِ ﷺ ، الَّذِي كَانَ يُحِبُّهُ وَيَعْطِفُ عَلَيْهِ ،
 وَأَطْلَقَ الصَّحَابَةُ عَلَيْهِ لَقَبَ (حَبُّ رَسُولِ اللَّهِ) - أَيُّ حَبِيبِهِ !
 وَتَزَوَّجَ (زيد) مِنْ (بَرَكَةِ الْحَبَشَةِ) الْمَعْرُوفَةِ بِأَمِّ أَيْمَنَ ،
 وَرَزَقَهُ اللَّهُ مِنْهَا (أَسَامَةَ) الَّذِي فَرِحَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ فَرَحًا
 شَدِيدًا ، فَقَدْ كَانَ يُجْلِسُهُ عَلَى إِحْدَى رِجْلَيْهِ وَيُجْلِسُ عَلَى
 الرَّجُلِ الْأُخْرَى ابْنَ ابْنَتِهِ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ ، وَكَانَ يُدَاعِبُهُمَا
 وَيَضُمُّهُمَا إِلَى صَدْرِهِ وَهُوَ يَقُولُ :
 - اللَّهُمَّ إِنِّي أَحْبَبُهُمَا فَأَحِبَّهُمَا .

ذَاتَ يَوْمٍ وَبَيْنَمَا كَانَ (أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ) يَجْرِي إِذْ وَقَعَ عَلَى



جَبْهَتِهِ فَشَجَّتْ وَسَالَ الدَّمُ مِنْهَا ، فَقَامَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ
بِنَفْسِهِ لِيُدَاوِيَهُ وَيَمْسَحَ الدَّمَ مِنْ عَلَى جَبِينِهِ .

ازداد الصحابة إعجابًا بهذا البطل الصغير وهم يسترجعون
تاريخه الحافل بالحب والإيمان والتسامح والذكاء وقالوا :

- حَقًّا لَقَدْ اقْتَبَسَ (أُسَامَةَ) مِنْ نُورِ النَّبِيِّ ﷺ السَّاطِعِ ،
وَنَهَلَ مِنْ مَعِينِ عِلْمِهِ وَخُلُقِهِ وَشَجَاعَتِهِ الَّذِي لَا يَنْضَبُ ،
فَصَارَ مِثْلًا يُحْتَذَى فِي الْخُلُقِ الرَّفِيعِ السَّامِيِّ وَالذِّكَاةِ
النَّادِرِ وَالشَّجَاعَةِ الْمُنْقَطِعَةِ النَّظِيرِ ، مِمَّا جَعَلَ الرَّسُولُ ﷺ
يُحِبُّهُ حُبًّا كَبِيرًا ، حَتَّى أَطْلَقَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ لَقَبَ (الْحَبِّ)
ابْنِ الْحَبِّ)

فِي غَزْوَةِ أُحُدٍ كَانَ عُمَرُ (أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ) أَقَلَّ مِنْ خَمْسَةِ
عَشَرَ عَامًا ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ طَلَبَ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ أَنْ يَسْمَحَ لَهُ



بالانضمام إلى الجنود المسلمين من أجل الجهاد في
سبيل الله ، لكن الرسول ﷺ أخبره أنه ما زال صغيراً ، وأن
الإسلام لا يكلفه بالجهاد في مثل هذا العمر ، ووعدّه أن
يقبله في صفوف المجاهدين عندما يكبر ، ولكن (أسامة)
الذي كان يتوق للجهاد في سبيل الله رجع وهو يبكي لأنه
سيحرم من هذا الشرف العظيم !

وراح أسامة يستعد ويتدرب للمعركة القادمة ، وفي غزوة
الأحزاب جاء أسامة إلى النبي ﷺ ، وطلب منه أن
يسمح له بالانضمام إلى صفوف المجاهدين ، وأخذ
أسامة يشد قامته إلى أعلى لكي يقبله الرسول ﷺ ،
وعلى الرغم من أنه كان في سن صغيرة ، فقد قبله النبي
بعد أن رق لحاله ورأى في عينيه إصراراً وعزيمة .



وَلَمْ يَكَدْ أُسَامَةُ يُعَلِّمُ بِسْمَاحِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُ بِالْأَنْضِمْامِ
إِلَى صُفُوفِ الْمُجَاهِدِينَ حَتَّى خَفَقَ قَلْبُهُ الصَّغِيرُ وَكَادَ
يَطِيرُ مِنَ الْفَرَحَةِ ، وَحَمَلَ سَيْفَهُ وَدَخَلَ سَاحَةَ



المعركة جنبًا إلى جنبٍ مع كبار الصحابة ، وراح

يقاتل قتال الأبطال الذين لا يخافون العدو ولا يخشون

الموت .



وَمَرَّتِ الْأَيَّامُ وَكَانَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ يُثْبِتُ كُلَّ يَوْمٍ أَنَّهُ جَدِيرٌ
بِثِقَةِ الرَّسُولِ ﷺ وَحُبِّهِ ، وَأَنَّهُ بَطْلٌ مِنْ طِرَازِ فَرِيدٍ قَلَّ أَنْ
يَجُودَ الزَّمَانُ بِأَمْثَالِهِ ، وَأَنَّهُ بَرَّغَمٍ صَغِيرٍ سَنَّهُ مِثَالٌ نَادِرٌ فِي
الشَّجَاعَةِ وَقُوَّةِ الْإِيمَانِ !

فَفِي يَوْمِ حُنَيْنٍ هَرَبَ الْكَثِيرُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ سَاحَةِ
الْقِتَالِ بِسَبَبِ هَوْلِ الْمُفَاجَأَةِ ، فَقَدْ وَجَدُوا أَنْفُسَهُمْ مُحَاطِينَ
مِنْ كُلِّ جَانِبٍ بِجُنُودِ الْأَعْدَاءِ ، وَلَمْ يَثْبُتْ وَيَبْقَ فِي سَاحَةِ
الْمَعْرَكَةِ إِلَّا عَدَدٌ قَلِيلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلُ : الْعَبَّاسِ بْنِ
عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمِّ الرَّسُولِ ﷺ ، وَأَبِي سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ
أَخِ الرَّسُولِ ﷺ مِنَ الرُّضَاعَةِ ، وَكَانَ مِنْ بَيْنِ الْأَبْطَالِ
الصَّامِدِينَ الثَّابِتِينَ هَذَا الْبَطْلُ الصَّغِيرُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ،
الَّذِي رَاحَ يُقَاتِلُ بِسَيْفِهِ فِي شَجَاعَةٍ وَبَسَالَةٍ ، وَاسْتِطَاعَ



مَعَ مَنْ ثَبَتَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُحَوَّلُوا الْهَزِيمَةَ إِلَى نَصْرِ ،
وَكَانَ لَهُمْ أَكْبَرُ الْأَثَرِ فِي إِعَادَةِ الْمُسْلِمِينَ الْفَارِّينَ إِلَى سَاحَةِ
الْمَعْرَكَةِ .

لَمْ يَكُنْ مُسْتَغْرِبًا بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يَحْظَى (أُسَامَةُ) بِحُبِّ
الرَّسُولِ وَثِقَتِهِ ، فَهُوَ الْبَطْلُ الصَّغِيرُ الَّذِي يَدْخُلُ الْمَعْرَكَةَ
وَهُوَ يَحْمِلُ رُوحَهُ عَلَى كَفِّهِ طَالِبًا الشَّهَادَةَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ
النَّصَرَ الْمُبِينَ .

وَمِمَّا يُوَكِّدُ حُبَّ الرَّسُولِ ﷺ الشَّدِيدَ لَهُ ، أَنَّ أَحَدَ
عُظَمَاءِ مَكَّةَ كَانَ قَدْ أَهْدَى حُلَّةً ثَمِينَةً وَقِيَمَةً لِلرَّسُولِ
ﷺ ، وَلَمْ يَلْبَسْهَا الرَّسُولُ ﷺ فِي حَيَاتِهِ كُلِّهَا سِوَى مَرَّةٍ
وَاحِدَةٍ ، ثُمَّ خَلَعَهَا وَأَعْطَاهَا (لأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ) دُونَ أَنْ
يُعْطِيَهَا لِأَحَدٍ مِنَ أَقَارِبِهِ ، وَكَانَ (أُسَامَةُ) يَرْتَدِّيْهَا وَيَسِيرُ بِهَا



بَيْنَ النَّاسِ فِي سَعَادَةٍ وَبَهْجَةٍ لِأَنَّهُ يَرْتَدِي حُلَّةً كَانَ جَسَدُ
الرَّسُولِ الطَّاهِرِ صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ يَرْتَدِيهَا مِنْ قَبْلُ !
كَانَ الصُّحَابَةُ يَحْكُونَ هَذِهِ الْمَوَاقِفَ عَنْ هَذَا الْبَطْلِ
الصَّغِيرِ ، فَيَزِدَادُ إِيمَانَهُمْ بِحُسْنِ اخْتِيَارِ الرَّسُولِ ﷺ لَهُ
كَقَائِدِ جُيُوشِ الْمُسْلِمِينَ ، وَتَزِدَادُ قَنَاعَتُهُمْ بِهِ كَقَائِدِ مُحَنِّكَ
لَهُ تَجَارِبُهُ ، وَقَبْلَ هَذَا وَذَاكَ كَمُسْلِمٍ صَالِحٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ يُحِبُّهُ وَيَدْعُو لَهُ وَيَتَّقِي بِهِ .

كَانَ الْمُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ يَنْتَظِرُونَ بِلَهْفَةٍ مَعْرِفَةَ أَخْبَارِ هَذَا
الْبَطْلِ وَيَشْتَاقُونَ إِلَى مَا سَوْفَ تُسْفِرُ عَنْهُ الْأَيَّامُ الْقَلِيلَةُ
الْمُقْبِلَةُ .

وَلَمْ يَخِبْ ظَنُّهُمْ فِي قَائِدِهِمُ الْبَطْلُ ، فَقَدْ كَانَ النَّصْرُ
حَلِيفَهُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ لَمْ يُحَارِبْ وَلَمْ تُرَقْ نُقْطَةٌ دَمٍ



واحدة من دماء المسلمين ، فبعد أن علم (هرقل) إمبراطور
الروم بموت النبي ﷺ ظن أن المسلمين سينقسمون وسيؤثر
فيهم موت نبيهم ، وفكر في غزوهم ، لكنه فوجئ بأن
جيشاً كبيراً ، لا أول له ولا آخر يقف على حدود الشام !
وبعد أن استشار (هرقل) قادة جنده وأهل الرأي ، أثر أن
ينكمش داخل حدود دولته ، وأن يسحب جنوده التي
كانت على حدود دولة الشام .

واستطاع (أسامة) بعد أن أجبر (هرقل) على الانسحاب
أن ينزع هيبة الروم ورهبتهم من قلوب المؤمنين ، وأن يمهد
الطريق أمام الفتوحات الإسلامية التي حدثت فيما بعد .
وأدى جيش (أسامة) المهمة التي خرج من أجلها ،
وعاد مظفراً منتصراً دون أية خسائر ، فاستقبله أبو بكر



الْأَبْطَالِ ، وَأَخَذَ النَّاسُ يَقُولُونَ فِي إِعْجَابٍ وَفَخْرٍ .

– إِنَّا لَمْ نَرَ جَيْشًا أَسْلَمَ وَلَا أَغْنَمَ مِنْ جَيْشِ (أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ) !

وعاش (أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ) طِيْلَةَ حَيَاتِهِ مَوْضِعَ إِجْلَالِ

الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا وَاحْتِرَامِهِمْ ، فَفِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ

الْخَطَّابِ ، جَعَلَ لَهُ عُمَرُ رَاتِبًا وَمَعَاشًا أَكْبَرَ مِنْ ابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ

بْنِ عُمَرَ ، وَعِنْدَ مَا عَاتَبَ عَبْدُ اللَّهِ أَبَاهُ بِقَوْلِهِ :

– يَا أَبَتِ فَرَضْتَ لِأُسَامَةَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ ، وَفَرَضْتَ لِي ثَلَاثَةَ

آلَافٍ ، وَمَا كَانَ لِأَبِيهِ مِنَ الْفَضْلِ أَكْثَرَ ثَمًّا لَكَ ، وَلَيْسَ لَهُ

مِنْ الْفَضْلِ أَكْثَرُ مِمَّا لِي !

رَدَّ عُمَرُ قَائِلًا :

– هَيْهَاتَ ! إِنَّ أَبَاهُ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ

أَبِيكَ ، وَكَانَ هُوَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْكَ .



وكما كان (أُسامةُ بنُ زيدٍ) بطلاً في ساحةِ القتال وقائداً
مِنْ طِرازِ فَرِيدٍ ، فقد كان بطلاً في اتِّخاذِ القرارِ المناسبِ
في أخرجِ اللَّحظاتِ .

فَعِنْدَما حَدَثَتِ الفِتْنَةُ الكُبْرَى بَيْنَ عَلِيٍّ بنِ أَبِي طَالِبٍ
ومَعَاوِيَةَ بنِ أَبِي سُفْيَانَ كانَ قَرارُهُ أَنْ يَعْتَزِلَ القِتالَ ، ورَفَضَ
أَنْ يَحْمِلَ السَّيْفَ وَيَشْهَرَهُ في وَجْهِ مُسْلِمٍ ، على الرِّغْمِ مِنْ
حُبِّهِ لِعَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ .

وعِنْدَما أُلْحَ عَلَيْهِ أَنْصارُ عَلِيٍّ أَنْ يَنْضَمَّ إِلَيْهِمْ وَيُقَاتِلَ مَعَهُمْ
رَفَضَ بِشِدَّةٍ وقالَ :

— واللَّهِ لا أُقَاتِلُ أَحَدًا قالَ : لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ .

ثم أَضَافَ قائلاً وهو يَبْكِي :

— لَقَدْ كُنْتُ في إِحْدَى الحُرُوبِ ، ولما انْهَزَمَ الأَعْداءُ



أَدْرَكْتُ رَجُلًا فَأَهْوَيْتُ عَلَيْهِ بِالرُّمْحِ ، فَقَالَ الرَّجُلُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، قَالَهَا خَوْفًا مِنْ الْقَتْلِ فَطَعَنَتْهُ فَقَتَلَتْهُ .

ثم ازداد بكاءً (أُسَامَةُ) وعلا نحيبه ، وقال :

— وَعِنْدَمَا أَخْبَرْتُ الرَّسُولَ ﷺ بِذَلِكَ تَغَيَّرَ وَجْهُهُ وَبَدَأَ

عَلَيْهِ الْغَضَبُ وَقَالَ : (وَيْحَكَ يَا أُسَامَةُ ! فَكَيْفَ بَلَإِ إِلَهٍ إِلَّا

اللَّهُ ؟ وَيْحَكَ يَا أُسَامَةُ ! فَكَيْفَ بَلَإِ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ ؟ وَلَمْ يَزَلْ

الرَّسُولُ ﷺ يُرَدِّدُهَا حَتَّى لَوَدِدْتُ أَنِّي انْسَلَخْتُ مِنْ كُلِّ

عَمَلٍ عَمِلْتُهُ ، وَاسْتَقْبَلْتُ الْإِسْلَامَ يَوْمَئِذٍ مِنْ جَدِيدٍ .

ثُمَّ زَفَرَ (أُسَامَةُ) زُفْرَةً وَقَالَ فِي أَسَى :

— فَلَا وَاللَّهِ ، لَا أُقَاتِلُ أَحَدًا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ بَعْدَمَا

سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ ذَلِكَ .

وَضَرَبَ (أُسَامَةُ) الْمَثَلَ أَمَامَ الْآخَرِينَ ، فَحَذَا حَذْوَهُ



الْعَدِيدُ مِنَ الصَّحَابَةِ حَيْثُ اعْتَزَلُوا الْفِتْنَةَ وَرَفَضُوا أَنْ
يَحْمِلُوا سُيُوفَهُمْ وَيُلَوِّثُوهَا بِدِمَاءِ إِخْوَانِهِمُ الْمُسْلِمِينَ ، أَيْ
كَانَتِ الْجِهَةُ الَّتِي يُحَارِبُ فِيهَا ..

وَبَعْدَ رَحْلَةٍ حَافِلَةٍ بِالْبُطُولَةِ وَالْفِدَاءِ ، اشْتَاقَتْ نَفْسُهُ لِلِقَاءِ
رَبِّهِ ، وَصَعِدَتْ رُوحُهُ فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ وَالْخَمْسِينَ
لِلْهِجْرَةِ ، وَوَدَّعَهُ الْمُسْلِمُونَ إِلَى مَثْوَاهُ الْأَخِيرِ وَهُمْ يَذْرُفُونَ
دُمُوعَهُمْ عَلَى فِرَاقِهِ وَيَتَرَحَّمُونَ عَلَيْهِ قَائِلِينَ :

– رَحِمَ اللَّهُ (الْقَائِدَ الْبَطْلَ) الْحَبَّ ابْنَ الْحَبِّ !

(تَمَّتْ)